الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليــم العالـي والبحـث العلمـي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: ....

الرمز في ديوان :"عفوا... سأحمل قدري وأسير " لعبد القادرعميش

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة:**أدب عربي** التخصص: **أدب عربي حديث ومعاصر**

إعداد الطالبة:

***- فتيحة فيلالي**

إشراف الدكتورة:

***- حنان بومالي**

<u>لجنة المناقشة:</u>

- الدكتورة حنان بومالي مشرفا ومقررا.
- الدكتور رضا عامر رئيسا.
- الأستاذة فطيمة بوقاسة مناقشا.

السنة الجامعية: **2016/2015**

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

[سورة التوبة، الآية 105]

يارب إذا أعَطيتنــي نجَاحــاً فلا تأخــذ تَواضعْــي

وإذا أعطيتني تواضعي فلا تأخذ اعتزازي بِكرامتي

و إذا أسَأت يا رب إلى النّاس فامنحني شجَاعَة الاعتذار

وإذا أسَــاء إليّ النَّــاس فامنحني شجَاعَــة العَفْــوَ.

(وَقُل رَبّ زِدْني عِلْماً.)

شكر وعرفان

الحمد لله بجميع المحامد على جميع النعم، والصلاة والسلام

على خير خلقه محمد المبعوث إلى خير الأمم، وعلى آله وصحبه مفاتيح الحكم ومصابيح الظلم

وبعد:

إنه لمن الواجب والأخلاق والوفاء، بعد هذه السنين من الدراسة

أن أتقدم بالشكر والعرفان وأنا على مشارف التخرج،

إلى كل من قدم لي معلومة وأهداني نصيحة،

فالشكر كل الشكر إلى الدكتورة المشرفة

"حنان بومالي"

على إشرافها وتوجيهها لي والمجهودات التي قامت بها من أجل إنجاز هذه المذكرة وتحية وتقدير وعرفان لكل الأساتذة الذين علموني معنى الجهد والاجتهاد والصبر والنضال والطموح والإرادة في سبيل العلم طيلة مسيرتي الدراسية.

وإلى كل من كانت له يد في إنجاز هذه المذكرة.

فجزاهم الله عني جميعا أحسن جزاء.

© Ladie Lynn
http://ladielynn.com

إهداء

إلى الأقلام الجريئة ... وكل الشموع التي

تحترق لتنير دروب الآخرين

إلى من كلله الله بالهبة والوقار ... إلى من علمني العطاء دون انتظار

أبي العزيز

إلى بسمة الحياة وسر الوجوه ... إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، قرة عيني

أمي الغالية

إلى من شاركوني فرحة الصبا وشقاوة الطفولة ... إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة.

إخوتي وأخواتي الأحباء

إلى كل من أحبابي وحبيباتي ... إلى أعمامي وعماتي ... إلى أخوالي وخالاتي ... إلى جدتي الغالية ... إلى زوجة أخي.

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم "صديقاتي".

إلى الروح التي سكنت روحي ... إلى برعم الغد ابن أختي: طه الأمين.

إلى من لم يكتبهم قلمي وحفظتهم ذاكرتي.

إليكم أرفع هذا العمل المتواضع اعترافا لوفائكم.

فتيحة فيلالي

© Ladie Lynn
http://ladielynn.com

يعيش الشاعر اليوم في عالم من الرموز، التي أصبحت تحتل مساحة معتبرة في الشعر الحديث، حيث جعل الشعراء منها مطية لكشف رؤاهم والتعبير عن حالاتهم ومعاناتهم. ويحاول هذا البحث تقديم قراءة للرمز في المنجز الشعري لعبد القادر عميش من حيث التجليات الرمزية والأبعاد الدلالية فيه، على اعتبار أن الرمز جمالية من جماليات القصيدة الحديثة، وأرقى أساليب التعبير التي تنتقل بالقصيدة من السير الأفقي السطحي المباشر للدلالة، إلى التوجه العمودي العميق، والباطن والمكتنز، وبذلك فهو يمنح للشاعر مقدرة على الإيحاء بالدلالة بدل كشفها أو فضحها أو تقديمها بشكل مباشر.

من هذا المنطلق كانت الإشكالية المطروحة كيف تجلى الرمز في ديوان "عفوا ... سأحمل قدري وأسير" لعبد القادر عميش، وما هي أهم الأنواع التي وظفها؟ مع مجموعة من الإشكالات وهي:

. ما مفهوم الرمز؟ فيما تمثلت أنواعه؟

. وما علاقته بالفنون الأخرى؟

. وما هي أهم الرموز التي تجلت في ديوان عبد القادر عميش؟ وكيف خدمت تجربته الشعرية؟.

وأما مبررات اختياري لهذا الموضوع تعود أساسا إلى الأسباب الآتية:

1- تميز أسلوب هذا الشاعر وبخاصة منظوماته الشعرية المليئة بالإيحاءات والرموز، فعلى الرغم من الغموض الذي يتسم به شعره، فإنه يذغذغ الشعور، وينفذ إلى القلب.

2- إبراز ما تضمنه هذا المنجز الشعري من إشارات رمزية في التعبير، وما حواه من معان تعبر تعبيرا صادقا عن اللحظات المتجلية في آهات الوجع، ولحظات الانكسار من وطأة الفاجعة المتمثلة في وفاة أمه.

3- قلة الدراسات الأكاديمية التي أفردت هذا الموضوع بالبحث سواء عند الشاعر عبد القادر عميش أو في الشعر الجزائري بشكل عام، وذلك مقارنة مع الأبحاث التي تناولت الرمز في دواوين الشعراء العرب؛ والتي أخذت نصيبها من البحث.

ولا أدعي السبق في طرح موضوع الرمز، إذْ إن هناك عدد لا يحصى من الدراسات منها: دراسة الباحث ناصر لوحيشي بعنوان:الرمز في الشعر العربي، ودراسة الباحثة فطيمة بوقاسة بعنوان: جميلة بوحيرد الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، والجدة في بحثي تكمن في دراسة تيمة الرمز في ديوان عبد القادر عميش "عفوا ...سأحمل قدري وأسير".

وقد تطلب هذا العمل الاعتماد على المنهج الفني الجمالي الذي يسهم في الكشف عن جماليات النصوص، وفهم مكنوناتها وأبعادها الدلالية، فمن خلاله تمكنت من إبراز الدلالات والإشارات وحتى الإيحاءات الرمزية الموجودة في الديوان، مع الاستعانة بآلتي الوصف والتحليل.

ولتحقيق أهداف البحث قسمته إلى مقدمة وفصلين بالإضافة إلى خاتمة:

الفصل الأول : خصصته للجانب النظري وكان بعنوان: مفهوم الرمز وأنواعه وعلاقاته تصدرته تقديمات نظرية بدءا بمفهوم مصطلح الرمز من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية بالإضافة إلى ذكر أنواع الرموز المختلفة (طبيعية، تراثية، أسطورية، دينية). ثم تقاطع الرمز مع مصطلحات أخرى كالأسطورة والقناع والاستعارة.

أما الفصل الثاني: وهو الفصل المتعلق بالجانب التطبيقي وخصصته لديوان عبد القادر عميش فكان عنوانه: تجليات الرمز في المنجز الشعري "عفوا ... سأحمل قدري وأسير"، ركزت فيه على استخراج أشكال الرموز المختلفة بالإضافة إلى ذكر دلالاتها وإيحاءاتها، أما الخاتمة فكانت ملخصا لأهم وأبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

وأما أهم مصادر الدراسة ومناهلها فمتعددة منها: ديوان "عفوا .... سأحمل قدري وأسير" لعبد القادر عميش، وظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث لعبد العليم محمد

إسماعيل علي، والرمز والقناع في الشعر العربي الحديث لمحمد علي كندي... وغيرها من الكتب القيمة.

ولأنه لا يخلو جهد من مشقة، فقد واجهتني بعض الصعوبات في إعداد هذا البحث وأبرزها الوقت؛ فمن الصعب أن يجمع المرء بين مهمتين: العمل والبحث، فضلا عن نقص الأبحاث التي أفردت الرمز في هذا الديوان بالدراسة إن لم نقل انعدامها، ولكن هذه الصعوبات تبقى في النهاية بمثابة الدافع الذي ينمي البحث ويخرجه في أحسن صورة ويبقى الله هو المعين على تخطي جميع الصعوبات.

ولا يفوتني في نهاية هذا البحث إلا أن أتقدم بالشكر والامتنان لأستاذتي المشرفة الدكتورة "**حنان بومالي**" التي منحتني الحرية الكاملة في اختيار هذا الموضوع، وعلى جهودها المتواصلة، وإرشاداتها القيمة وصبرها معي، فجزاها الله خيرا، ووفقني وإياها إلى ما فيه الخير.

كما أشكر جزيل الشكر كل أساتذتي بمعهد الآداب واللغات وكل من أمدني بالمساعدة من قريب أو بعيد، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر لجنة المناقشة التي تجشمت العناء لقراءة هذا البحث قصد توجيهي لما فيه الصواب والسداد.

فلكل هؤلاء أرفع امتناني وتقديري، والله ولي التوفيق وبه نستعين، وآخر المنى أن يكون البحث هذا قبسة من نور ويكون المرشد والدليل لمن يأتي بعدنا.

دأب الإنسان منذ بداية البشرية إلى الاتصال بالآخرين والتفاعل معهم عن طريق إنشاء نماذج من الكلمات والصور، والرموز هي إحدى المبتكرات الإنسانية التي تتناول العلم الإنساني خارج ذات الإنسان وانفعالاته.

فقد سعى الإنسان من خلال "الرمز" إلى نقل المتلقي من العالم المادي إلى عالم المثل فهو يبحث عن الباطن ولا يعول على الظاهر المباشر لأن التعابير المباشرة لا ترضي حاسته ولا تفسح المجال أمامه لإطلاق خياله.

وإذا ما عرضنا لبيان الرمز بمعناه العام الواسع فهو تعبير غير مباشر عن فكرة بواسطة استعارة أو حكاية، أو بعبارة أخرى هو امتناع عن التصريح واكتفاء بالتلميح، لكن قبل الغوص أكثر في الرمز علينا أولا أن نعرف ما هو مفهوم الرمز، وما هي أنواعه وتقاطعه مع مصطلحات أخرى كالأسطورة، والقناع، والاستعارة ... وغيرها.

أولا- مفهوم الرمز:

تختلف مفاهيم الرمز باختلاف الباحثين ومجالات اشتغالهم، ولتحديد مفهومه الدقيق، لابد أن نحدده في اللغة وفي الاصطلاح.

1- لغة: ورد في لسان العرب أن: "رمز: الرَّمْزُ: تصويت خفي باللسان كالهَمْس، ويكون تحريكَ الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين وقيل: الرَّمْزُ إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم: والرَّمْزُ في اللغة كل ما أَشرت إليه مما يُبانُ بلفظ بأَي شيءٍ أَشرت إليه بيد أَو بعين، ورَمَزَ يَرْمُزُ، ويَرْمِزُ رَمْزاً"(1)،وهذا يعني أن الإنسان يلجأ إلى الإشارة عندما يكون عاجزا عن الكلام، أو حين يكون قصد إفهام بعض الناس بالمراد دون البعض الآخر.

1- ابن منظور: لسان العرب، ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح إديسوفت، لبنان، 2006، ج5، ص302 مادة (رَ . مَ . زَ).

وورد في التنزيل العزيز عن قصة زكريا –عليه السلام–: **(قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ)[سورة آل عمران، الآية: 41]**. فما ورد في تأويل الرمز في هذه الآية الكريمة "**(قال ربي اجعل لي آية)** أي علامة استدل بها على وجود الولد مني، **(قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا)**، أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح"[(1)].

أما في القاموس المحيط " **للفيروز أبادي**" : " فالرمز هو الإشارة، أو الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد، أو اللسان"[(2)]. وبهذا يأخذ الرمز معنى الإشارة حسب ما جاء في القاموس المحيط تتدخل فيها كل أعضاء الجسم (الشفتين العينين، الحاجبين، ...).

وفي كتاب العين" **للخليل بن أحمد الفراهيدي**" نجد: "الرمز باللسان، الصوت الخفي ويكون [الرمز]: الإيماء بالحاجب بلا كلام، ومثله الهمس (...) والرَّمْز: تحريك الشَّفَتين"[(3)].ومنه فالرمز مرادف للإشارة باختلاف العناصر المكونة لها من الفم، اليد الشفتين، ... .

أما لفظة "رمز" في الصحاح فهي: "الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجبين"[(4)]، والمعنى نفسه وارد في أساس البلاغة **للزمخشري**: "رمز إليه، وكلّمه رمزا بشفتيه وحاجبيه"[(5)]، وبالتالي فالرمز ما ينتج عن عضو ما من جسم الإنسان ليكون إشارة ما ترمز إلى شيء معين.

1- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين: تفسير القرآن العظيم، (تح: سامي بن محمد السلامة) دار طيبة، (د.ب)، 1999، مج1، ص578.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي: القاموس المحيط، (تح: نعيم العرقسوسي)، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ج2، ص512، مادة (رمز).

3- عبد الرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي: معجم العين، (تح: عبد الحميد هنداوي)، ط1، منشورات محمد علي بضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ج2، ص149، باب الراء.

4- الجواهري: الصحاح في اللغة والعلوم، (تق: عبد الله العلايلي)، ط1، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، 1974 مج1،ص509، مادة(رمز).

5- الزمخشري: أساس البلاغة، (تح: محمد باسل)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ص385، مادة (رمز).

وكذلك في المعجم الوسيط ورد: "الرَّمْزُ، الإيماء والإشارة، والعلامة (في علم البيان): الكناية الخفيَّة والجمع: رُمُوزٌ "[1]، وفي المنجد: "رمز، رمزا: أومأ وأشار: رمز بعينه بشفتيه"[2]. وعليه فالرمز هنا أخذ معنى شبه موحد إن لم نقل موحد فهو يعني الإشارة والتلميح دون تصريح مباشر.

وبهذا نكون قد ذكرنا بعض ما جاء في المعاجم العربية عن الرمز، وما ذل عليه في لغة العرب، وهي في مجملها تعبير عن طريق الإشارة بأعضاء الجسم المختلفة من يد وشفتين إلى العينين والحاجبين فاللسان.

2-اصطلاحا: يعد الرمز من أكثر المصطلحات التي عرفت اضطرابا وتناقضا في تحديد ماهيتها، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة النظر إليه، وتحديد ماهيته بمقاييس ليست من طبيعته وقد أدى ذلك إلى تعدد مفاهيمه حسب مجال اشتغاله، وتبعا لتعدد العلوم التي احتوته منذ القديم وحتى العصر الحديث .

يعود أصل كلمة "الرمز" ومعناه إلى عصور قديمة جدا. "فهي عند اليونان تدل على قطعة من فخار، أو خزف تقدم إلى الزائر الغريب، علامة على حسن الضيافة، وكلمة الرمز ***Symbole*** مشتقة من فعل يوناني بحمل معنى الرمي المشترك ***Jeter Ensemble*** ؛ أي اشتراك شيئين في مجرى واحد، وتوحيدهما"[3].ومن هذا المنطلق فإن الرمز كلمة موغلة في القدم، ظهرت في الفكر اليوناني، فهي لم تنشأ من فراغ.

1- جمال مراد حلمي: المعجم الوسيط، (إش: شوقي ضيف)، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2004 ،ص372 مادة (رمز).

2- المنجد في اللغة العربية المعاصرة: (مر: مأمون الحموي وآخرون)، ط2، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2001 ص585.

3- ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب- معالم وانعكاسات الرمزية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1982، ج2، ص08.

ويعد **ابن رشيق** من الأوائل الذين أشاروا إلى الرمز في المصطلحات البلاغية والنقدية حيث قال: "وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم"[1]. بمعنى أن ابن رشيق جعل الرمز من أنواع الإشارة يلمح من إشاراته.

كما أشار "**الجاحظ**" بدوره إلى مضمون الرمز إلا أنه: "أطلق عليه اسم (الدلالة) فقال: وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصية ويقترب من الرمز الإشاري ثلاث منها: الإشارة، الخط، النصية"[2]. وهذا يعني أن الجاحظ قد ربط الرمز بالدلالة إذ أن الرمز يتخذ قيمته مما يدل عليه ويوحي به.

كما أن مصطلح الرمز من المصطلحات التي عرفتها العلوم النظرية قديما،"فقد كان الرمز في الفلسفة الرواقية يتضمن المنطق والبلاغة ونظرية المعرفة، فأفلاطون يرى أن المسميات ترمز إلى الأشياء، والحقيقة وراء المحسوسات، فما نراه في هذا العالم ليس سوى انعكاس لعالم الصور الخالصة كما يوضحه في تشبيهه الرمزي لأشباح على الحائط ..."[3].

ومن ثمة فإن الرمز متداخل مع علوم البلاغة- قديما- كما أن أفلاطون يرى أن الرمز هو حجب للمباشر، وهو انعكاس أيضا لما هو موجود في عالم المثل حسبه.

هذا وقد ذهب كثير من الباحثين إلى تعريف الرمز، وقد أتت تعريفاتهم متقاربة في مضامينها؛ فالرمز – في رأي وارين ويلك- "هو موضوع يشير إلى موضوع آخر، لكن فيه ما يؤهله لأن يتطلب الانتباه إليه كشيء معروض"[4]. من هنا يمكن القول: إن الرمز يتطلب وعي أكثر وانتباه أكبر، لأن المعنى خفي على الدوام.

1- ابن رشيق: العمدة، ط1، دار الجيل، بيروت، 1981، ج1، ص306.
2- الجاحظ: البيان والتبيين، (تح: فوزي عطوي)، (د.ط)، دار صعب، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج1، ص57.
3- سعود بن عبد العطوي: الرمز في الشعر السعودي، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، 1933، ص11.
4- رينيه ويلك وواستن وارين: نظرية الأدب، (تر: محي الدين صبحي)، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1981، ص196.

أما الرمز في رأي "**سعد الدين كليب**" فهو: "صورة الشيء محوّلاً إلى شيء آخر بمقتضى التشاكل المجازي، بحيث تغدو لكلٍّ منهما الشرعية في أن يستعلن في فضاء النص"[(1)]. ومن هنا يرتبط الرمز بالغموض، فالرمز قبل كل شيء معنى خفي، مجازي وإيحاء أيضا.

وهذا ما عبر عنه "**مصطفى السعدني**" بقوله: "الرمز إشارة حسية مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس"[(2)]. بمعنى إن الرمز لم يتعدى الإشارة الحسية في نظر مصطفى السعدني.

ومن معاني الرمز أيضا: "الإيحاء؛ أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية،والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح"[(3)].

ومن ثم فإن الرمز يتخذ وجها آخر، وهو الإيحاء للتعبير عن النواحي النفسية المستترة وبالتالي يدخل القارئ في عوالم لا حدود لها، ويدفعه للغوص في المضمون.

وهذا ما عبرت عنه "**سلمى الخضراء الجيوسي**" بقولها إن الرمز: "تعمد استخدام كلمة أو عبارة لتدل على شيءآخر، لا بالتشابه، بل بالإيحاء والإشارة"[(4)]. مما يوحي بأن الرمز كلمة أو عبارة أو صورة تحتوي أو تحوي بداخلها على أكثر من معنى.

أما الرمز عند "**ياسين الأيوبي**" فهو: "ليس أداة مصطنعة تصدر عن تقصد إرادي بل رؤيا تنفذ عبر الواقع إلى الحقائق الخفية التي تكمن وراءه"[(5)]. وهذا يعني أن الرمز عنده ليس من وضع الإنسان، بل هو عبارة عن رؤيا تطلعية تنفد إلى الحقائق الخفية عبر الواقع

1- عبد العليم محمد إسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011 ص210.

2- مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، (د.ط) ، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت) ص38.

3- ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2011، ص10.

4- عبد العليم محمد إسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص210.

5- ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب - معالم وانعكاسات الرمزية، ص122.

بمعنى آخر لم يظهر عن قصد، أو لغرض ما بل صدر عفويا، فالرمز وجد عنده لأجل أن يؤدي شيئا ما.

ويؤكد أحد الباحثين أن الرمز: "أسلوب من أساليب التعبير لا يقابل المعنى ولا الحقيقة وجها لوجه"[1].ويتميز هذا التعريف بالشمولية عكس ما نلمسه عند غيره من الباحثين إذ له القدرة على الاستيعاب، فهو لا يواجه الفكرة مباشرة، وإنما يخاطبها من وراء حجاب.

وهذا ما ذهب إيه بعضهم بقوله: "هوجماع لحظة تاريخية فريدة مستقلة بطابع زماني مرسوم بالمفارقة، وهو من هذه الوجهة مركب على نحو استيطيقي كله توتر ومشادة بين العابر الموقوت والأبدي الدائم بين المظهر الحسي الذي يكون نواة الصورة الشعرية وماهيات الأشياء بوصفها أساسا للكينونة ولدوام ماهو واحد لا متغير،إنه نسيج أو تركيب استطيقي جامع بين الصورة والكينونة، صيرورة المظهر الحسي الذي يعبر الرمز بالنشاط التخيلي المتمثل في الصورة، والإشارات المجازية، وكينونة الأشياء وتسميتها على ما هي عليه بالتوغل في لبابها وأساسها الأول ..."[2]، لقد شمل هذا التعريف كل معاني الرمز من الإشارية إلى الإيحاء، وكذا الصورة والخيال.

ومن النقاد الذين أولوا اهتماما بالغا بالرمز الناقد "**إيليا الحاوي**" الذي يقول في هذا الصدد: " فالرمز ليس أداة تقرير ومقابلة فهو لا يقابل واقعا بواقع آخر، ويطلع من قلب المادة الصماء أرواح الحقائق الكامنة بها، ولذلك فالرمز الفعلي أشبه ما يكون بلحظة من النبوءة الشعرية، به يتصل بما وراء الأشياء وما وراء جدار الحس والعقل، وهي قد تدركها النفس حين تستقل وتتحرر من جسدها"[3].فالرمز بالنسبة إليه كالنبوءة الشعرية تظهر على النبوغ الشعري في اللحظة التي يمارس فيها الأديب فنه الأدبي.

1- السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ط2، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة الجزائر، 2008، ص27-28.
2- عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1983، ص114.
3- إيليا الحاوي: الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص142.

ولقد اعتبر "**أدونيس**" الرمز هو: "اللغة التي تبدأ حيث تنتهي لغة القصيدة، أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة، إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوب الجوهر"[(1)].

واستخدم "**أدونيس**" لغة شعرية عالية في تعريفه للرمز، وهو في نظره لا يأتي باعتباره محاولة للابتعاد عن المباشرة، بل يأتي باعتباره وعيا للعالم، وهو ما يتيح تأمل شيء آخر وراء النص، فهو على الدوام معنى خفي وإيحائي.

وانطلاقا من هذا فإن الرمز باعتباره أداة من أدوات التعبير ليس فنا مستحدثا، ولكنه وسيلة مألوفة كما يقول "**العقاد**": "في طبيعة الإنسان، و لكنه شيء مألوف على حالة واحدة لا يخلو منها معرض الرمز والكناية، وهي حالة الاضطراب والعجز عن الإفصاح، فلم يرمز الإنسان قطُّ وهو قادرٌ على التصريح والتوضيح، ولم يجد كلمة واضحةً لمعنى واضح، وآثر عليها الالتواء شغفاً في الالتواء"[(2)]؛ ومن ثمة فإن الرمز وسيلة تعبيرية لا يمكن أداؤها بواسطة التصريح.

وذلك ما يبرزه "**مصطفى ناصف**" حين يقول: "إن الرمز لمحة من لمحات الوجود الحقيقي يدل عند الناس ذوي الإحساس الواعي على التعبير عنه بغيره، وهذا أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له معادل لفظي هو بديل عن شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته"[(3)]. بمعنى أن الرمز هو المعادل الموضوعي الذي يمكن إسقاط أي تجربة ذاتية عليه فهو مرتبط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الإنسان، والرمز يشير دائما إلى الواقع فهو ينطلق منه ثم يتجاوزه فيكون بذلك أكثر جمالا وتأثيرا .

هذا وقد ارتبط مفهوم الرمز "بفلسفة الحلم التي اهتم بها الرومانسيون في البداية مانحين إياها قيمة كبرى، غير أنهم لم يبلغوا المكانة التي بلغها الرمزيون المستفيدون من

1- أدونيس: زمن اشعر، ط3، دار العودة، بيروت، 1982، ص160.
2- السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ص33.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تراث الرومانسية، ومن نظريات فرويد في معالجة الحلم، والذي غدا عندهم ضرباً من الممارسة الصوفية ومنبعاً للخيال الشعري"[1].

مما يعني أن الرمز عند الرومانسيين ارتبط بحالة نفسية وهي الحلم، كما أنه ضرب من الممارسة الصوفية ومنبع للخيال والإلهام.

ونجد إضافة إلى الأدباء والمفكرين العرب الذين قدموا تعريفات للرمز، أدباء ومفكرين غربيين كان لهم دور بارز في تحديد ماهيته، وبخاصة **تزفيتان تودوروف** (***TzvetanTodorov***) الذي منح الرمز مدلولا شاملا يتضمن كل أشكال المجاز، حيث يقول: "للرمز تأويل مفتوح فصار بذلك هو العبارة الرومانسية بلامنازع، وسقط الدليل ومعه المثل لأنه توفيق بين دليل ورمز إلى مرتبة دنيا"[2]؛ أي إن هناك مصطلحين اثنين: الرمز والمثل، ومفهوم الرمز يقابل مفهوم المثل حسب استعمال الرومانسيين.

أما **بودلير** (***Boudelaire***) فيرى: "أن كل ما في الكون رمز، وكل ما يقع في متناول الحواس رمز يستمد قيمته من ملاحظة الفنان لما بين معطيات الحواس المختلفة من علامات..."[3]، وبالتالي فالرمز معادل للرؤية وهو ما تقع عليه العين، والفنان هو الذي يلاحظ قيمته .

بينما اعتبرته المدرسة النفسية ممثلة في **يونغ وفرويد** بأنه: "نتاج الخيال اللاشعوري"[4]، ومن هذا كله نفهم أن الرمز عند فرويد يعبر عن تجربة فكرية فريدة، وفي المقابل أيضا عند يونغ هو التعبير عن شيء لم يدرك بعد في الوعي وفي الفكر، فالرمز ما هو إلا ما تبقى من أنماط التفكير الأولية.

1- السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ص31.

2- تزفيتان تودوروف: نظريات في الرمز، (تر: محمد الزكراوي)، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان ، 2012 ص9.

3- إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص275.

4- السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ص31.

بناء على ما تقدم نصل إلى نتيجة مفادها أن تعدد الحقول المعرفية والاتجاهات والمجالات التي تناولت الرمز، زادت مفهومه ثراءا وشمولية، لكن هذا لا يمنعنا من القول بأن الرمز قد شكل في الماضي، ولا يزال يشكل في الحاضر والمستقبل بنية الفكر الإنساني وهذا ما جعل دراسة الرموز تصبح حقلا معرفيا قائما له أصوله ومناهجه ومدارسه وأعلامه.

ثانيا- أنواع الرموز:

لقد تعددت أنواع الرموز واختلفت آراء الباحثين في تقسيمه إلى مستويات بين عام وخاص جزئي وكلي، بسيط ومركب، وهذا ما أدى إلى الخلط بين الأنواع والمستويات، لكن بحثنا سيحاول التركيز على أهم أنواعه، حيث ورد في الكثير من المؤلفات المعاصرة أنواع كثيرة للرمز: من ابتكاري (طبيعي) إلى رموز تراثية والتي تحوي كل من الرمز الطبيعي والتراثي والأسطوري والديني والشعبي والصوفي وغيرها، ويرجع هذا التنوع إلى تشعب منابع تكوينه.

1-الرمز الطبيعي:

يتميز الرمز الطبيعي بالأصالة والابتكار "يصنعه الشاعر على غير مثال سابق من خلال مزج رؤياه بالواقع مزجاً تخيلياً عميقاً ، فيعطيه أبعاده الجمالية والتأثيرية"(1)، والشاعر يلجأ إلى الرموز للكشف عن العلاقات المختلفة التي تربط بينه وبين الأشياء من حوله، فهو يتميز بقدرة عالية على خلق العلاقات وتعميقها وإنشاء الدلالات وتعدد الإيحاءات.

وفي هذا المجال نجد الشعراء الرواد "... قد بذلوا جهدا ملحوظا، حتى كاد كل شاعر يعرف برموزه المبتكرة، ومن ملاحظاتنا لطبيعة هذه الرموز نجد أنها تنقسم إلى نوعين: نوع يرتبط بعناصر طبيعية، كالمطر، والبحر، والنجم، والناي، والريح، وفارس النحاس، ونوع

1- إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب – دراسة أسلوبية لشعره ، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2008، ص87.

يرتبط بالأماكن ذات المدلول الشعوري الخاص، كدنشواي، وجيكور، وبويب، والبصارة وبور سعيد، أوراس، و ما أشبه"(1).

والشاعر في تعامله مع عناصر الطبيعة إنما يرتفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي، كلفظة مطر مثلا انتقلت من مدلولها المعروف إلى مستوى الرمز، لأن السياب يحاول دائما من خلال رؤيته الشعورية أن يشحن اللفظة بمدلولات شعورية خاصة وفريدة.

فعندما نقرأ للسياب نجد أن قصائده واضحة لكنها دقيقة وتحمل دلالة عميقة "ففي المقطع الأول من أنشودة المطر كان مطرا سماويا تفرح له العصافير والأطفال، وتردده أنشودة تبشر بالمستقبل الخصيب، وفي المقطع الثاني كان ضجرا وسخطا وطلب نجدة الظلم، وتعبيرا عن ثورة الناس، وفي المقطع الثالث كان بداية اليقظة وانطلاق صوت الثوار ضد الجراد والغربان، وفي المقاطع الأربعة التالية أصبح انتشارا لصوت الثورة في كل اتجاه ثم نزول المطر النصر، ثم عودة لمطر استغاثة واستسقاء النصر من جديد ضد الأفاعي فهو طلب ثورة جديدة، ضد ظلم جديد، ثم يهطل المطر الذي يعني بداية ثورة الشعب على الأفاعي واستمرارها"(2).

وبهذا فإن الشاعر يلجأ إلى الطبيعة ويرمز بمظاهرها من نخل، وتراب، وماء، وبحر ورعد، وليل ... وكذلك يلجأ إلى مخلوقاتها وكائناتها فتارة يشبه بها نفسه، وتارة يحاكيها داخل شعره، وتارة يرمز بها مثل: الحمامة البيضاء فهي رمز للسلام.

ثم إن الشعراء المعاصرين هم الأكثر توظيفا واستغلالا للرموز نظرا للعالم المعاصر وما يسوده من فوضى وعدم استقرار، ومن بينهم بدر شاكر السياب الذي وظف كثيرا من الرموز الطبيعية في شعره، ومن أمثلة ذلك: المطر، النخيل، القمر، السماء... .

1- عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، (د.ط)، دار العودة ودار الثقافة بيروت 1981، ص212.
2- حسن توفيق: بدر شاكر السياب ـ دراسة فنية وفكرية، ط2، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2009 ص89.

حيث يقول في أنشودة المطر:

"عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ ،

أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمر .

عيناك حين تبسمان تورق الكرومْ

وترقص الأضواء ... كالأقمار في نهَرْ"[1].

يوظف بدر شاكر السياب رموزا طبيعية، ولكن كثير ممن يقرؤها يخيّل إليه أنها ألفاظ سهلة في معانيها، لكن في عمقها هي ألفاظ تمثل رؤيا أعمق وإيحاءات دالة جدا، وهنا يكمن الإبداع الفني في الرمز.

"فالقمر" و "النجوم" و "ساعة السحر" و"غابتا نخيل" و "ينأى عنهما"، كلها توحي بالبعد وبالعالم الحالم، والمعاني العميقة التي لا يسهل إدراكها، وكذلك "ورق الكرم" و "المياه العميقة" صور أراد الشاعر أن يخلق منها معادلا موضوعيا، فهو نسج كل هذه الرموز بكلمات سهلة لكن في عمقها هي أبعد من ذلك.

2-الرمز التراثي:

يؤخذ الرمز التراثي من التراث أو البيئة التي تمثل الماضي، فهو سجل تاريخي وكنز ثمين أصبح الشاعر المعاصر يأخذ منه للتعبير عن خلجات نفسه. والرمز التراثي لدى الشعراء الجاهليين يتمثل في تلك الآثار والأماكن التي ينزل بها الشاعر في رحلاته وتنقلاته فيبكي الأطلال والديار، ذلك أن هذه الذكريات تشكل صفحة من صفحات ماضيه. بل إنها سجل تاريخي دون فيه الشاعر الجاهلي سيرة حياته، ومن بين هؤلاء الشعراء الذين أولوا عناية كبيرة بالتراث والآثار القديمة "**إمرؤ القيس**"، فقد كان الطلل عنده وسيلة يعبر بها عما يختلج في نفسه. حتى قال:

"قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل   بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ"[2].

1- بدر شاكر السياب: الديوان، دار العودة، بيروت، 1971، ج1، ص474.
2- إمرئ القيس: الديوان، ط3، دار صادر، بيروت، 2007، ص29.

فالطلل عنده يرمز إلى الزمن الغابر، والرموز التراثية هي تلك الآثار التي وظفها الشعراء الجاهليون في أشعارهم، نظرا لما تحمله من دلالات وإيحاءات.

والتراث هو المنبع الذي يعود إليه جل الشعراء لغناه بمختلف الصور، فعلاقة الشاعر بالموروث علاقة متطورة بحيث أصبح يتعامل معه من خلال: "منظور تفسيري يحاول من خلاله أن يكشف تلك الروح الشاملة الخالدة الكامنة في هذا التراث والينابيع الأولى التي تفجر منها"(1).

هذا ونجد أبرز مثال على استخدام الرمز التراثي وتوظيفه في قصائد الشعراء المحدثين، رمز "السندباد" في قصيدة "رحل النهار" لبدر شاكر السياب حيث يقول فيها:

"رحلَ النَّهارْ
ها إنَّهُ انْطَفَاتْ ذُبالَتُهُ على أُفْقٍ تَوَهَّجَ دونَ نارْ
وجلسْتِ تنْتَظرينَ عوْدةَ سندبادَ منَ السِّفارْ
والبحْرُ يصْرُخُ من ورائكِ بالعواصِفِ والرعودْ
هُو لن يعودْ
أَوَ ما علِمْتِ بأنَّهُ أَسَرَتْهُ آلِهَةُ البِحارْ
في قَلْعَةٍ سوداءَ في جُزُرٍ من الدَّمِ والمَحارْ
هوَ لنْ يعودْ،
رحلَ النهارْ
فلترْحلي، هوَ لنْ يعودْ"(2).

هنا"يمزج الشاعر بين شخصية السندباد المستمدة من قصص ألف ليلة وليلة، وبين شخصية عوليس (أوديسيوس) بطل الأوديسة زوج بنلوب الوفية الذي أسرته آلهة البحار مستمدا من رمز السندباد معنى الرحلة الدائمة، ومن "أوديسيوس" الرحلة الإجبارية في سبيل

1- حسن توفيق: بدر شاكر السياب ـ دراسة فنية وفكرية، ص125.
2- بدر شاكر السياب: الديوان، ص229.

مهمة ملحة لا أمل في العودة منها، وبما أن رحلة السندباد علاجية من مرض عضال تكتنفها هموم رجل فقير خلف وراءه زوجة وأولاد مهددين من بيتهم لأنهم لا يجدون مالا يدفعونه أجرة له"(1).

وينطبق هذا على السياب وزوجته التي عانت بسبب سفره، ولهذا جعل السياب "السندباد" رمز للفشل لا كما تعودنا عليه سندباد المغامرة والمصاعب.

وعليه فإن الرموز التراثية هي بمثابة خزانة ثرية يعود إليها الشاعر كلما استدعت الحاجة لتوظيفه بما يتناسب ورؤياه الجديدة.

3-الرمز الأسطوري:

تعد "الأسطورة أحد الرموز التراثية تختلف معها في أصل نشأتها وطبيعتها، وتتفق معها في أنها رمز جاهز مستمد من أعماق الموروث الإنساني يوظفه الشاعر لغرض فني"(2).

ولقد اتخذ الشعراء المعاصرون من الأسطورة أداة تعبير عن معاناتهم وآلامهم الفكرية والنفسية وضمنوا الأسطورة في أشعارهم متخذين منها رمز التعبير عن آرائهم وتقديم أفكارهم في قوالب فنية.

ويعد السياب "أول من استخدم الرمز في الشعر العربي سياسيا وفنيا، لذلك يعد رائدا معلما لمن استخدم الترميز في شعره، وبخاصة في مرحلة توظيف الأسطورة لأن السياب لا يلتفت إلى الأسطورة إلا لكونها أعلى مراحل الرمز استخداما شعريا"(3).

1- إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب - دراسة أسلوبية لشعره، ص197.
2- المرجع نفسه، ص 126-127.
3- المرجع نفسه، ص130.

ومن ثمة فإن مزج السياب لهذه الرموز والأساطير كان نتيجة طبيعية لحالة تحقيق ذاته حيث أراد أن يبين من خلالها مقدار التعب والعناء الذي يلاقيه الإنسان للوصول إلى غايته المنشودة، وهي تحقيق خلوده.

وتعد قصيدة بدر شاكر السياب "مدينة بلا مطر"، "من أحسن القصائد التي ذاب فيها الرمز الأسطوري ذوبانا تاما، فأسطورة (عشتار وتموز) بما فيهما عبثية القدر والحب... يكفي أن تقرأ القصيدة كاملة لتسقط جوانب الرمز الأسطوري فيها على واقع العراق الأليم"[(1)].

بالإضافة إلى قصائد أخرى تناول فيها الرمز الأسطوري ومنها قصيدة (المسيح بعد الصلب)، والتي يقول فيها:

"بعدما أنزلوني، سَمِعتُ الرياحْ

في نواحٍ طويلٍ تسفُّ النخيلْ

والخطى وهي تنأى. إذن فالجراحْ

والصليبُ الذي سمّروني عليهِ طوالَ الأصيلْ

لم تَمُتني. وأنصَّتُ : كان العويلْ"[(2)].

وتعد قصيدة "**المسيح بعد الصلب**" من النماذج الصالحة للتدليل على التوظيف الرمزي والأسطوري " فالسياب يتخذ من شخصية السيد المسيح رمزا أسطوريا يعبر به ومن خلاله عما لحقه هو من آذى وآلام وعذاب..."[(3)].وبهذا كانت الأسطورة رمزا تراثيا.

وفي هذا الصدد ذهبت "**نبيلة إبراهيم**" إلى القول بأن: "الأساطير الرمزية تمثل حلقة فكرية رائعة في التراث الأدبي، وما زال الأدباء في كل جيل يجدون فيها معينا لا ينبض من الأفكار الإنسانية"[(4)].

1- فطيمة بوقاسة: جميلة بوحيرد الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (شعبة أدب الحركة الوطنية)، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007، ص36- (لم تنشر).

2- بدر شاكر السياب: الديوان، ص457.

3- محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ، 2003 ص188.

4- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، (د.ط)، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص23.

4-الرمز الديني:

تعد "الشخصيات الإسلامية المختلفة أبرز مصادر تشكيل الرمز الديني"[1]، وبهذا شكلت مصدر إلهام بالنسبة للشعراء لجعلها رموزا خالدة، فكان رمز محمد، وأيوب، وموسى ويوسف، ونوح، وأهل الكهف، وقصص الإسراء والمعراج ... وغيرها ملجأ بعض الشعراء لإبداعاتهم الرمزية.

ثم إن "نظرة الشعراء المعاصرين إلى الرموز الدينية قد تغيرت، وأصبح ينطلق في توظيفها من فلسفة خاصة، إذا لم يعد التوظيف لذاته، وإنما أصبح تعبيرا عن الذات المعاصرة،وإسقاطها عليه"[2].

ومن بين الشعراء الذين وظفوا "الرمز الديني" **محمود درويش**، وذلك حين يقول:

"أيوبُ صَاحَ اليَوْمَ مِلءَ السَمَاءِ:

لا تَجْعلوني عِبْرَةً مَرَّتينِ!

يا سادَتي! يا سادَتي الأنْبياء"[3].

لقد وظف الشاعر رمز "أيوب" في شعره وأسقطه على حال الأمة الفلسطينية التي أحاط بها اليأس والمحن وما تحملته هذه الأمة من عذاب وابتلاء على الرغم من بعد الشبه بين القصتين، فقد كان أيوب (عليه السلام) عبرة لكل من جاء بعده، كان أيضا رمزا للصبر رغم ما أصاب جسمه من مرض.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في سورة الأنبياء: **(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ).[سورة الأنبياء، الآيتان: 83-84].**

1- رابح بن خوية: جماليات القصيدة الإسلامية المعاصرة (الصورة – الرمز – التناص)، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2013، ص111.

2- ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، ص66.

3- محمود درويش: الأعمال الكاملة، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973، ص405.

وعليه يمكن القول: إن الدين الإسلامي كان مصدرا ثريا لشعرائنا الذين ظلوا ينهلون منه مواد التعبير الشعري، وذلك لإضفاء روح جديدة في قصائدهم ويمنحونها جمالية وفنية.

وصفوة القول: إن الشاعر يستخدم رموزا متنوعة حسب كل مقام، يستقيها من التراث الحافل بالذكريات أو من الطبيعة التي يعتبرها ملجأ يلتجئ إليه لانتقاء مختلف الرموز، أو من الأسطورة نفسها وحتى الحروف والأعداد... ، ولهذا فكل هذه المنابع أدت إلى تعدد أنواع الرموز بين ما هو طبيعي وما هو تراثي وأسطوري، وديني وشعبي وحتى صوفي.

ثالثا- تقاطع الرمز مع مصطلحات أخرى:

يتقاطع الرمز مع مصطلحات وعناصر كثيرة، والتي يستلهم منها مادته، ومن أبرز هذه العناصر نجد: الأسطورة والقناع والاستعارة ... .

1- علاقة الرمز بالأسطورة:

إن ثمة علاقة وثيقة بين هذين المصطلحين "فالرمز والأسطورة كلاهما شكل توسل به الدين والفن والغناء وكل الأنماط الانفعالية التي نبعت من جذر واحد في القديم وعبر به الإنسان البدائي تعبيرا حرفيا عن وقع الموضوعات الخارجية على ذاته وعما يشعر به ويحس داخلها"(1).

وهذا يعني أن العلاقة بين الرمز والأسطورة قديمة ووطيدة جدا، "فالأسطورة بناء رمزي ذو رسالة مميزة، وخطاب خاص يخاطب العقول في كل عصر وكل آن، وهذا الطابع الرمزي جعل الأسطورة خطابا رمزيا يخفي الكثير من الدلالات التي تحتاج إلى تفسير أو تأويل، فبناء الأسطورة الظاهري – يخفي بسبب التكثيف – كثيرا مما هو مسكوت عنه"(2) وبالتالي فالأسطورة تعبير رمزي مكثف، ومن ثمة ارتبطت الأسطورة والرمز بالغموض والإيحاء.

1- إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب - دراسة أسلوبية لشعره، ص127.
2- عبد العليم محمد إسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص213.

ثم إن "الأسطورة في أصلها رمز لقوى الطبيعة المختلفة، والظواهر الكونية المحيطة بالإنسان أصبحت تشكل معتقدا دينيا عنده عبر جاهليته منذ وجوده على الأرض ... ففي البدء كانت الأسطورة رمزا مبتكرا ثم أصبحت عرفا اجتماعيا دينيا تتبناه الجماعة وتؤمن به"[1]، وعليه فالأسطورة هي شكل من أشكال الرمز، التي تقوم بتفسير الظواهر الكونية ومشكلات الوجود،كما أنها تعبير رمزي عن مشاعر مجتمع ما.

2- علاقة الرمز بالقناع:

لقد دخل القناع في بداية الأمر إلى المسرح " ليصبح مصطلحا مسرحيا مهما، ومنه انتقل إلى الشعر الحديث، ليعبر عن لون متقدم من التوظيف الشعري للرمز والشخصيات ويفصح عن علاقة جديدة للشاعر بتراثه، وليكون خطوة متقدمة في الفن الشعري باتجاه الاغتناء من أساليب الفنون الإبداعية الأخرى"[2]، ولقد استخدم القناع كلون من ألوان الرمز ليعبر به الشاعر، وهذا ما يفسر العلاقة الوطيدة التي تجمع بين الرمز والقناع.

ولهذا "يعتبر القناع من الأساليب التي اتجه إليها الشعر العربي الحديث من أجل تحقيق موضوعية الرؤية الشعرية؛ فالقناع هو رمز اتخذه شعر الحداثة وسيطا ليبتعد عن النزعة الذاتية في التعبير الشعري"[3]، وبالتالي فإن مصطلح القناع هو من أقرب الأساليب الفنية في الشعر العربي الحديث إلى مصطلح الرمز.

ولعل "تأخر التأطير النظري – نسبيا – لهذه الأداة (القناع) التعبيرية في توظيف الرموز والشخصيات يؤكد أن المبدع وحده يحمل عبء البحث المستمر عن أدوات جديدة تناسب المرحلة، وتنهض بتجربته الشعورية لتكون ملائمة لرؤيته الشاملة التي ترنو إلى التجاوز والتخطي، حاملة هموم المبدع ومشاغله التي هي هموم الإنسانية وآلامها من المعاناة والصمت والموت والثورة المضادة"[4].

1- إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب ـ دراسة أسلوبية لشعره، ص127.
2- محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص67.
3- عبد العليم محمد إسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص240.
4- محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص72.

ومن ثمة فتقنية القناع يتخذها المبدع للتعبير عن هموم الإنسانية وآلامها ومشاكلها وذلك عن طريق توظيف رموز وشخصيات في شكل أقنعة للتعبير عن ذلك، ثم إن العلاقة بين هذين المصطلحين؛ خيط رفيع هو ذاك الفاصل بينهما.

3- علاقة الرمز بالاستعارة:

من الحقائق الواضحة أن الرمز له علاقة بالاستعارة، لكن هذا لا يمنع من وجود خلط كبير بين هذين المصطلحين في أوساط الأدباء وحتى القراء، فأحيانا تضيق الحدود بينهما حتى ينصهران فيصعب على القارئ التمييز بينهما.

وثمة علاقة وثيقة بين الرمز والاستعارة، "فكلاهما تصوير قائم على التشابه بين شيئين ابتكرهما المبدع أو استوحاهما من معطيات الواقع من حوله، لكن الفرق بينهما أن الاستعارة تحمل قرينة لفظية أو سياقية دالة على المشبه، غير أن الرمز دائما يكون مشبها به العلاقة بينه وبين المشبه المحذوف أكثر التصاقا وأكثر غموضا، إذ لا قرينة لفظية دالة عليه فهي سياقية شديدة الخفاء لا تدرك إلا بالتحليل العميق لجزئيات الرمز وملابساته والحدس وحده هو أداة الناقد لفهمه واستكشافه"(1).

ومعنى هذا أن الرمز والاستعارة يلتقيان في البناء الأساسي لكليهما، فهو يقوم على الالتحام والتقابل والالتقاء، وبعبارة أخرى كل تعبير إستعاري ذو خاصية رمزية، لكن نقطة الاتفاق هذه بين الرمز والاستعارة لا تمنع من وجود نقاط اختلاف أخرى بينهما. "فإذا كانت الاستعارة مجرد نقل صفة إلى موصوف لجامع بينهما أو لغير جامع بغض النظر عن ماهية أحدهما من حيث ارتباطه بالواقع أو ا لنفس، فإن الرمز ملتحمة تبدأ مباشرة من الواقع وتعتمد على الترجيح والإصرار والإلحاح التي يتميز بها الرمز، وتدق الفروق بينهما حين ننظر إليهما نظرا معزولا عن السياق، فالسياق هو المعيار الذي يقاس به ما بينهما من صلات، وهنا توصف الاستعارة بأنها عبارة مفردة أو وحدة منبتة عما قبلها، وعما بعدها تشير إلى مفهوم معين تحمله وتعبر عنه، ويوصف الرمز بأنه ابن السياق وأبوه ... وليست

1- إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب – دراسة أسلوبية لشعره، ص83.

له أية دلالة رامزة بمفردة، ويتحول الرمز إلى استعارة في الوقت الذي يستقل فيه عن سياقه"[1].

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن علاقة ا لرمز بالاستعارة هي علاقة وطيدة لدرجة أنهما قد يذوبان في بعضهما، والفصل بينهما يكمن فقط في السياق، فهو الذي يحدد إذا ما كانت رمزا أو استعارة .

بناء على ما تقدم في هذا الفصل النظري من تفصيل في مفهوم الرمز لغة واصطلاحا، وكذا ذكر أنواعه وتقاطعه مع مصطلحات أخرى، سنشير في الأخير إلى أن الرمز قد اتخذ بعدا جديدا مع النص الشعري المعاصر، وهذا ما نحاول الإجابة عنه في الفصل الآخر من خلال التدرج في تتبع تلك الرموز بأشكالها وملامحها وأبعادها وعبر نماذج مختلفة الدلالات، وذلك بالوقوف على تجليات الرمز في المنجز الشعري "عفوا.. سأحمل قدري وأسير".

1- إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب – دراسة أسلوبية لشعره ، ص83-84.

احتفت التجربة الشعرية الجزائرية المعاصرة بتوظيف الرمز بأنواعه، وما استخدام الجيل الجديد للرمز "إلا وجها من وجوه التعبير بالصور".[1] ولقد أدرك الشعراء الجزائريون المعاصرون أكثر من سابقيهم، ما في الرمز من خصوبة، وما فيه من طاقة تفتح أمام الشاعر والقارئ معا فيضا من الإيحاءات التي لا تنتهي، ويعد ديوان "عبد القادر عميش"* من أهم الإنتاجات الشعرية الجزائرية المعاصرة، لما فيه من إيحاءات ورموز بأشكال وأنواع متعددة، ولقد ضم الديوان العديد من القصائد الشعرية التي جاءت محملة بالرموز، التي تنوعت بين الرمز الطبيعي، والصوفي والديني، والتراثي.

كل هذه الأشكال الرمزية وظفها الشاعر من أجل التعبير عن خلجات نفسه، والتنفيس عن واقعه، وذلك لإيصال رسالة معينة أو تعرية للواقع الذي يعيشه، فكانت مصدرا ثريا من مصادر إلهامه، ومفتاحا من مفاتيح عالمه الشعري الذي جمعه في منجزه الشعري "عفوا... سأحمل قدري وأسير".

أولا- الرمز الطبيعي:

يلجأ الشاعر "عبد القادر عميش" إلى الطبيعة ومختلف مظاهرها وكائناتها، ويحاكيها داخل شعره، إذ يتخذ منها دلائل تجسد صورته داخل أبياته الشعرية، حيث أخذت الرموز الطبيعية في شعره نصيبا وافرا، إذ لا تكاد تخلو قصيدة من عناصر الطبيعة، ولعل قصيدة "رجع البحر"، وكذا قصيدة "للبحر ذاكرة لا تخون" أحسن مثال للتدليل على ذلك، حيث نلتقي بالرموز الطبيعية منذ العتبة الأولى وهي العنوان.

فقصيدة "للبحر ذاكرة لا تخون" يجسد العنوان اختزالا دلاليا بالغ التوتر والتكثيف وبوابة تعبر بنا إلى تفاصيل العلاقة بين النص الشعري و المبدع (الشاعر) ، حيث يقول في هذه القصيدة:[2]

1- عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص 195.
*- عبد القادر عميش: أستاذ جزائري باحث وشاعر وناقد وروائي معاصر.
2-عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، (د ط)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص29.

تأخر صوتك عني دهرا

تأخر صوتك عني... فدوت أزهار قلبي

تأخر صوتك عني... فتعطلت أشرعتي

وانفلت من بين أصابعي مجدافي

فاستنجدت ببقايا ريح يابسة مرت من زمان.

في هذا المقطع جعل الشاعر من أمواج البحر صوتا لأمه الذي تأخر عنه دهرا فدوت أزهار قلبه، وتعطلت أشرعته، وانفلت من بين أصابعه مجدافه، فاستنجد ببقايا الريح وبهذا كانت الريح نافدة المشيئة فعندما أعلن الشراع عصيانه كانت الريح هي التي تعينه في ذلك.

والشاعر هنا يبحث عن الحياة والأمل، ولهذا وظف عناصر طبيعية أخرى وهي "الأزهار، والريح" التي توحي بالتفاؤل والأمل، فأبرز سمة للريح هي الحركة التي تؤدي إلى التغيير، والشاعر يأمل أن تحرك هذه الريح قلبه وروحه فتنبض بالإيمان والحياة.

ويستمر " عبد القادر عميش" في استعمال "البحر" الذي يرمز به إلى مواجهة الصعاب وللبحث عن البديل (الأم) ولو بالحلم، وهذا من خلال قصيدة "رجع البحر" يقول:(1)

يضيء صوتك صمتي، وأمداء البحر

يجيء البحر، يروح البحر.. ينتصب زبدا رابيا

أمد يدي... أقطف من صوتك ما أشتهي:

محارا، زبدا، لغة المد والجزر.

فالرمز الطبيعي في هذه الأبيات الشعرية يكمن في لفظة "البحر" والذي جعل الشاعر منه مرآة تعكس صوت أمه الذي يتهيأ له أثناء رجوع البحر، وبهذا يرسم الشاعر صورة مأساوية تقوم على الحلم والأمل، وهو أمل بعيد التحقق لأنه صراع بين المعاناة والحلم والذكرى.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير ، ص 42.

ثم يواصل الشاعر مع هذه المعاناة قائلا:[1]

يحملني صوتك إلى الأقصى

وإلى حيث لا ينتهي البحر

في البحر من بين شعاب المرجان

أرى وجهك... يطل صوتك

شمس لا تغيب

يرمز الشاعر لوجه أمه وصورتها التي لا تفارق ذاكرته "بالشمس التي لا تغيب" وهذا يدل على مدى ارتباطه وتعلقه بأمه التي رفضت ذاكرته أن تنساها وتمسحها لدرجة أن صوتها وصل إلى الأقاصي، فرسم لها صورة خيالية أقوى دلالة من الشمس الطبيعية، فهي شمس من نوع آخر (شمس لا تغيب)، ويواصل قائلا:[2]

فيا أيها البحر الطامي استكن

أتبع موجة... أتبع صدى صوتك

الطالع من زوايا البحر

في البحر تحتشد الأشياء وتدنو

... .

آه لو أنساك قليلا

لو أنسى هدير الموج قليلا

ينحصر البحر عن ظلمته قليلا

أبحث في رقصات الموج عن ميعاد.

1- عبد القادر عميش:عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 43.
2- المصدر نفسه، ص 43- 44 .

يتمنى الشاعر لو أنه يستطيع النسيان، نسيان صوت أمه الذي شبهه بهدير الموج الذي يعذبه ويحفر في ذاكرته عميقا، لهذا استعمل لفظة "آه" التي تدل على شدة وعمق الألم، ألمه لفراق أمه، هذه الإنسانة العزيزة التي لها كل الأثر في حياة كل إنسان، فما بالك بإنسان شاعر فالشاعر لا يشبه الإنسان العادي، الألم عنده مضاعف والشعور عنده مرهف ووقع المأساة عليه يكون أكبر من غيره، ولهذا استعمل الشاعر هذه الرموز الطبيعية (البحر هدير الموج) للدلالة أكثر على عمق المعاناة وبشاعة هذه الصورة المأساوية، فالشاعر يتمنى بحرقة شديدة ويبحث عن ميعاد لكي يلقاها ولو في حلمه، فهو وحيد يتخبط بين أمواج الألم.

يضاف إلى الرموز الطبيعية المذكورة سابقا رمز "الريح" والذي ورد في سبعة عشرة موضعا موزعة على عدة نصوص شعرية (لغتي بللها الحنين، عفوا... سأحمل قدري وأسير ضفائر الحنة، للبحر ذاكرة لا تخون، لا ترحلي يا أمي الصغيرة، رجع البحر، الزبد المنهوك كل التحايا تحايا، أرسم عينين لأرى، الزمن الكاكي). حيث جعل الريح فضاء لحزن القصيدة وهي ذاتها الريح التي تحتوي قلق وألم الروح، روح الشاعر التي تبحث عن الأمل والنحاة حيث يقول في هذا الصدد:(1)

قولي للريح انقلبي همسا..

......

وانشري في الريح المسافرة جدائلك..

لتكون جسر نجاتي..

....

لأنشد في وجه الريح ديوان أسفاري...

لا ضيء قناديل انتمائي.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 36.

فالريح في هذه الأبيات رمز طبيعي يدل على الإصرار والتحدي لمواجهة العوائق والصعوبات، وأبرز سمة للريح هي الحركة التي تؤدي إلى التغيير، فالشاعر يأمل بأن تحرك هذه الريح روحه فتنبض بالإيمان والنجاة من جديد، وبهذا كانت الريح في هذه الأبيات معادلا موضوعيا بامتياز شكل جسر النجاة عند الشاعر.

وتعدد دلالات الرمز الطبيعي "الريح" بين التحدي والأمل ،والموت والهلاك حيث يقول:(1)

أمتطي صهوة الريح العقيم

أمتطي صهوة موجي الطالع

يستنفر شهوة القلب.

يمزج الشاعر في هذه الأبيات الشعرية بين الصورة الصوتية للريح، والأصوات الصاخبة فتبدو الريح كصهيل خيل يملأ فضاء الأرض، فيهز السكون المألوف، فالريح هنا توحي وتدل على الموت والهلاك، فهي جالبة للعقم والفناء.

ولأن الريح توحي بدلالة التيه والتشتت، والاضطراب فقد تعددت دلالاتها في هذا المنجز الشعري بين الريح الجالبة للأمل والريح العقيمة الجالبة للهموم والأهوال، يقول الشاعر:(2)

تستوقفني هذي الريح العمياء...

تسألني عن وجهة مجراها.

تستوقفني عند كل غروب شمس سيارة.

تنتحب الريح صمتا عند قبر حبيبتي أمي

المتدثر بالأعشاب البرية.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 41.

2- المصدر نفسه، ص 21.

وظف الشاعر في هذه الأبيات الشعرية رمزا طبيعيا، وهو الريح التي تواتر هبوبها وعصفها وسكونها في هذه المقاطع الشعرية، فتبدو لنا عواطف الشاعر متأججة ومشتعلة نتيجة فقدانه لأمه، وهذا البعد يجعله حبيسا يرى أهوال الموت من حوله، فعبر عن ذلك من خلال هذا الرمز الطبيعي الريح الذي يوحي بالتيه والتشتت والاضطراب، والريح هي التي ساعدت في تأجيج واشتعال هذه الآلام الموجودة داخل الشاعر.

كما نجد "عبد القادر عميش" قد استعان بمفردات الطبيعة لتعينه على التعبير عن مدى حبه وألمه واشتياقه لأمه وهو بهذا يصف مرارة الفراق جراء فقدانه لأغلى وأعز إنسانة على قلبه ، كما نقرأ ذلك في قوله:[1]

يا أميرة الوهم الجميل

كوني شمسي التي لا تغيب

كوني نهرا يصنع مجراه...

تمشي خلفك الأشجار..

كوني قطاة يهتدي بك الظمآن..

كوني كما تشائين..

فقط كوني منارة لأشرعة أرهقها الإعصار.

عبر الشاعر في هذه الأسطر الشعرية عن حالته الوجدانية، وهذا من خلال توظيفه لبعض الرموز الطبيعية: (كالشمس، النهر، الأشجار، الإعصار)، وهذه الرموز لها قدرة كبيرة في التعبير عن وضعه وحالته، ولقد وظف الشاعر في هذه الأسطر الشعرية كلمة "**نهرا**" والنهر يدل على كثرة المياه التي يريد أن يسقي بها ظمأه، ووجد في هذا النهر ما يسقيه، ثم

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 37.

إن الشاعر يتمنى بحرقة شديدة، ويبحث عمن يسقي ظمأه، لأنه كرر كلمة "كوني" خمس مرات، والتكرار يدل على تأكيد المعنى.

ويوظف الشاعر في قصيدته "لا ترحلي... يا أمي الصغيرة" بعضا من عناصر الطبيعة حين يقول:[1]

كل هذي ينابيعي تجري بين يديك.

اختبئي في أفياء أطيابي..

لتمر سحابة الظن..

لأكتشف في مرآة الشمس وجهي.. غابة حزن

أتكوم بين يديك طفلا.. مسكونا بالتخريف

وثرثرة منتصف الليل..

أحمل بحرا من كلماتي الخجلى.

حاول الشاعر الدمج بين مشاعره وأحاسيسه وبين الطبيعة، فلا يخلو سطرا من أسطر المقطوعة من ذكر عنصر من عناصر الطبيعة، (ينابيع، سحابة، الشمس، غابة، الليل بحرا) وهذا التكثيف له ما يبرره، فالشاعر يبحث عن الحياة رغم كل لغات الحرمان والفقد التي يعانيها فالشمس هنا ترمز إلى صورة أمه، بل إنها أمله الذي سيخلصه من القهر والوحدة والألم، ومن يقرأ كلمة "الشمس" يتوهم أن الكاتب يقصد بها الشمس الحقيقية التي نعرفها، ومع ذلك فالشمس عند الشاعر تتعدى الطبيعة وتقفز فوقها لتوحي بأبعاد دلالية أخرى، والغابة كرمز ترتبط بالغموض، والظلمة والخوف والتيه والضياع، وهو سمة ملازمة للقلق النفسي الذي يعانيه الشاعر، والليل رمز العتمة التي يتخبط فيها الشاعر، فهو ينقل المشاهد الموجودة في البيئة المحيطة به، ويحاول أن يدمج بين ذاته وهذه العناصر في نسق شعري متميز.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 31.

يتجه الشاعر إلى الطبيعة ويلجأ إلى دنيا الحلم كي ينسى الواقع الذي يحيا فيه، ولعل سيطرة الأحلام على الشاعر تحمل دلالة فقدان الأمل في الانبعاث، ولذلك كانت النخلة عنده رمزا للإصرار على الحياة والشموخ والتحدي، حيث يقول:(1)

أزرع في أمدائك أضلاعي نخيلا يشد خاصرة الرمل

أزرع أرضك البور حلما أتفيء

إذا ضيعت طريقي

أو ضيعني الطريق سهوا.

لقد اختار النخلة رمزا للأم باعتبارها رمزا للخصب والنماء على الدوام، ولأنها تمنحه عطفها وحنانها، فهو يرى أنها تقاسمه آلامه وتبادله الحنين، وإصراره على زرعها هو إصرار على الحياة والصمود والحلم ، وفي أصداء من جو الطبيعة الزاخرة بالحياة يقول أيضا:(2)

لأمنح كفي لفراشات الجسد الآخر..

أسميك ما شئت: نخلة، أو خيمة..

أفرك يدي فرحا، ولها..

وأفتش في أكمام الزهر الناعس عن بسمة.

لون الشاعر هذا المقطع الشعري بالأزهار والفراشات والنخلة والخيمة، وهذه العناصر تحيل إلى البيئة المحيطة به، والتي غمرها الشاعر بأحاسيسه فامتزجت ألوان الطبيعة بلون النفس والمشاعر الوجدانية، لتوجد صورا جميلة سابحة في خيال المعاني وإيحاء الدلالة حتى أصبحت هذه الأزهار والفراشات والنخلة تعني له الأم، فهو يستلهم من هذه العناصر الطبيعية الجمال والسحر والأمل.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 32.
2- المصدر نفسه، ص 38.

هذا وقد اقتبس الشاعر صورا طبيعية أخرى تمثلت في بعض الكائنات الحية، وهي الطيور، يقول: [1]

والموت من حولي غراب النحس يحوم فوق أنقاضي الفانية.

وظف الشاعر رمز "**الغراب**" دلالة على الموت، فالغراب مرتبط في الثقافة العربية بالشؤم والنحس، فحينما يحوم الغراب الأسود يكون الموت والحزن، والخبر السيئ لا ينقله إلا الغراب ولهذا فالغراب رمز لشؤم، وهو معادل للحزن والتشاؤم، وربما وجد فيه الشاعر ضالته، خاصة وأن سمة الحزن ميزت شعره، فكان لهذا الرمز دور في خدمته، ويقول أيضا:[2]

نورس يأتي خفافا

قرع الحصى في وجه مد موجي المتراقص

حين يأتي صوتك ...يأتي صوتك

مبللا بالهوى وبالهواء والنشيد.

وظف الشاعر طائر النورس كرمز؛ حيث ارتبط هذا الطائر في الفكر الشعبي بمقولة ترى أنه حين يحس بموت أي أحد يشرع في الغناء، أضف إلى ذلك لونه الأبيض الدال على النقاء فالنورس يرتبط بالموت والحزن، ومن عمق المأساة الدالة على الموت يمزج الشاعر عبد القادر عميش بين النورس والحزن، والمناجاة الحزينة تكون للنورس أيضا، حيث يقول الشاعر:[3]

أو نورسة تهدي الحياري... إلى شطآن الشمس

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 19.
2- المصدر نفسه، ص 43.
3- المصدر نفسه، ص 36.

يا أمي الصغيرة

مدي خصلات شعرك الذهبية لأخرج من قاع بئر

معطلة.

وكوني سوسنة تهدي خطوي إلى واحة أطيابك.

لقد شبه الشاعر أمه بطائر النورس الذي يتميز بذاكرة قوية خصوصا للأماكن القديمة حتى لو طمرت تحت الماء، أما السوسنة فهي رمز للحب والجمال والحسن، ولهذا يتغزل الشاعر بأمه، وبخصلات شعرها الذهبية، وكأنه يبحث عن الأمل، ويجمع شتاته، وكل زهرة تمثل حسا ونبضا وحياة، وهكذا يستمر العناق مع الطبيعة فيستقي الشاعر منها الألم والأمل معا.

ثانيا- الرمز الصوفي.

لقد تغلغل الرمز الصوفي في الشعر الجزائري -كما العربي- وبرز في أشكال متنوعة ويعد "عبد القادر عميش" أحد الشعراء الذين وظفوا الرمز الصوفي في أشعارهم توظيفا صادقا حيث إن الشاعر المعاصر أصبح يؤسس نصه على رؤيا منبعها الحلم، إنها "القوة التي تطل على الغيب وتعانقه، فيما تنغرس في الحضور، تصبح القصيدة جسرا يربط بين الحاضر والمستقبل، الزمن والأبدية، الواقع وما وراء الواقع، الأرض والسماء".[1] لهذا كانت اللغة الصوفية أو الشعر الصوفي ملجأ له من اغتراب ذاته، ومعاناته النفسية معتمدا فيها على حضور الذات الأنثوية، وعناصر الطبيعة محملة في كل ذلك بأجواء روحانية وشطحات صوفية.

والشاعر"عبد القادر عميش" من الشعراء الذين اختاروا رواق التصوف، ولبسوا عباءة

1- محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ج3 ص47.

الصوفي وكثيرا ما حفلت قصائده بتجليات ومشاهدات وهو يكابد مرارة الحياة والفقد والحرمان ويستحضر معاناته بين هذا الواقع وبين المثال الذي يأمله وينشده، ومن النماذج التي تجلى فيها الرمز الصوفي نجد قصيدة " شطح الحال" والتي يقول فيها:(1)

إلى روحي المتشظية عن جسدي

هو نبض القلب أعرفه

نسر من وهج طار، مد جناحيه.

وطار بعيدا

حلق بين السحب العامرة

ومضى في هذا الرحب المترامي

نسرا يترصد أفق الظن

قلبا يتوارى في السر وفي العلن

في هذا المقطع الشعري دلالات صوفية، وظفها الشاعر ليعبر عن حنينه وشوقه إلى المطلق والسامي والبعيد، إلى أمه التي يعتبرها روحه المتشظية عن جسده، حيث شبه ذلك بروح طارت بعيدا في صمت وكأنها نسر، هذا الطائر الذي كان بمثابة مصدر إلهام الشاعر الصوفي، والذي يثير فيه حرارة الشوق والحنين، ثم يواصل الشاعر استحضار الرموز الصوفية في القصيدة نفسها قائلا: (2)

ما أوهن العمر الفاني في لحظة سكر

في رجفة كشف.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 09 .
2- المصدر نفسه ، ص 10 .

وطارت، حامت روحي بعيدا بين الغيم

واهتز الجسد، شطحا، طربا، حبا، عشقا

وتوحد في الحلم.

حلمي توهج بين الموجة والموج وتصاعد

توهج حلمي وتجسد.

استعمال الشاعر رموزا صوفية متنوعة (الفاني، لحظة سكر، رجفة كشف ،حامت روحي، اهتز الجسد، شطحا، طربا، حبا، عشقا، توحد...) وكل هذه الألفاظ رموز صوفية حققت انتقال التجربة من بعدها الواقعي إلى بعدها الحلمي، واختصرت بتقابلها الحاد أزمة شعورية وروحية شديدة تتوهج داخل الشاعر، فقد بدى السكر بديلا رمزيا مناسبا لهذا الحال الذي يعيشه كما أن الرمز الصوفي كان واضحا لنا، وبارزا حيث صار يوحد بين ما هو دنيوي وما هو سماوي، كما أنه يقترب ويجانس بين ما هو جسدي وما هو مادي وما هو روحي، فالشاعر هنا يسعى إلى التكثيف فالمفردة لها عدة دلالات، فنجد مزاوجة الحب والعشق مع السكر الصوفي حتى بلوغ درجة التوحد في أجواء شبيهة بالروحانية الصوفية المتعالية.

ويستمر الشاعر في شطحاته الصوفية قائلا: (1)

شطح الجسد الفاني طربا...واشتد سكر الحال

ودار لف سبعين خريفا حول الزهرة.

نمت الزهرة، وامتدت جهة الغيم العامر، حالمة، طربة.

شطح الجسد الفاني طربا.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير ، ص11 .

في هذه الأسطر الشعرية ربط الشاعر بين الشطح والسكر والفناء، إذ نجده يطلق العنان لشطحاته ليعبر عن وجده بلغة غريبة مبهمة تبرز عطشه إلى الفناء، حيث جعل من هذه الرموز الصوفية (الشطح، الفناء، السكر) رموزا للهروب من الواقع ونسيان لحظات الانكسار والحرقة جراء فاجعة فقدان حنان الحضن الدافئ ، كما استحضر الشاعر الرمز الصوفي في قصيدة"ما لا يقال" التي يقول فيها: (1)

اكتظت لغتي بالذي لا يقال

اكتظت رغباتي بالمحال

اشتهي أن أكون سواي

اشتهي أن أكون بغضا من ذاك المحال

اكتظت عيناي بالسراب

هذي أغنية الذي لا أراه

أهلا بصديقي الذي لا أراه

عانقت صوت وهمي الذي لا أراه

لم يكن يملك لغة غير لغة سواه

لم يكن يملك وجها غير وجه سواه

أخد بيدي وسار صامتا في طريق لا يراه

همس من خلفي ظلي:

عجبا أعمى يهدي أعمى حقا هذا الذي لا يقال.

1- عبد القادر عميش: عفوا...سأحمل قدري وأسير، ص13 .

في هذه القصيدة نلمح نوبة من نوبات النشوة الروحية المحفوفة بالغموض والتي يعانيها الشاعر، فهو يعبر عن معان عميقة لا يمكن أن يفهمها العامة وكثير من الخاصة لقد جعل الشاعر الوهم رفيقه الدائم، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على شوق الشاعر لأمه، والتي أصبح يتخيلها الصوت الذي يعانقه، وإن كان الصوت لا يعانق، ولكنه بقي يتصل به حتى تلبسه وتملكه لا كنه لا يدري ولم يكن يملك الحل.ويقول الشاعر في قصيدة "لغتي بللها الحنين":[1]

على حافة قبرها، أو قبري أجثو

مسكونا بالهلع الطالع من صمت الصخر.

أعانق ظلي لأعرفه...وأنادي من بين ثقوب القبر:

أماه: هل تسمعينني؟

أماه: نام العشاق في أحضان الدفء إلاي

فأنا يقتلني يتم الحضن..

مفطوم عن صدر التحنان

أماه: كل العشاق احترقوا بنار الشوق

وأنا أطفأني حبي

أماه: المسكونة بالصمت..ما لكل العشاق أقمار ضاحكة

وأنا لا قمر لي بين العشاق؟

اكتأب قمري وتوارى خلف السحاب.

أماه: كل العشاق انصرفوا.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص15.

إن الشاعر في قمة التذلل والخضوع لمحبوبته أمه؛ حتى يعبر عن مدى حبه المطلق الأبدي لها لكي يصل إلى كسب رضاها وغناها، فقدم نفسه وكيانه هدية لها، ليتوهج حزنه ويعدو كالمجنون وراء قطار الأحزان، كل هذه تحليقات صوفية حلقها الشاعر في عوالم الروح المجهولة، وبذلك حققت تواصلها عرفانيا، حققت حقيقة من حقائق الإنسان وهو توقه إلى الخلود ورفضه لمصطلح الموت، ثم يواصل قائلا: [1]

ما ماتت...لكن قالوا رحلت

تركتني أعدو كالمجنون خلف قطار الأحزان.

أماه: يقتلني اليتم رغم مد العمر سنين.

أماه: مازلت أرنو إلى شرفة عينيك.

أعرف أنك مازلت على شرفة قلبي...

وأنا هنا ألوح بشال حبيبتي

فينكرني الحزن.

جفت في الصمت مناديلي...

أماه: مدي يدك المشتعلتين بنار الحنة.

من بين شقوق الصخر

من يمسح عني هذا الحزن؟

من يطفئ رمضاء الصدر..

لهيب الدمع سواك؟

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص16-17 .

أخط فوق صخر القبر: هنا ترقد روحي.

هنا الوجه الأول...الوجه الأخر.

يصف الشاعر في هذا المقطع حاله في درجة من الهيام والجنون لكونه يعيش تجربة وجدانية شديدة الخصوصية يتحد فيها مع خياله، وبالتالي جعل من الرمز الصوفي سترا لهذه الحقائق ليعبر من خلاله عن مكنون نفسه وحالات الوجد والحزن والشوق والهيام التي يمر بها، حيث إن الشوق والحنين والتعلق هي الروابط الرئيسية التي شدت الشاعر الصوفي إلى المرأة (الأم) التي ترك غيابها ناظره مجالا للحلم وللخيال.

ثم إن قصيدة"عفوا...سأحمل قدري وأسير" ثرية برمز المرأة (الأم) الذي حمل الكثير من المعاني والإيحاءات فجاءت رمزا للقضاء والقدر للحب والجمال وأيضا للشوق والعشق والحنين وفضاء للأحاسيس المرهفة والمشاعر النبيلة يقول فيها: (1)

أمي هل تسمعي نبضي...دقات الوجد

وصهيل العشق الطالع من قلبي؟

أمي: وحدي المنفي في لغتي

كلماتي طيور يذبحها الظمأ الطاغي.

أمي: جف الدمع بعيني.

عفوا..سأحمل قدري وأسير.

منفيا في ظل الظلمة...في أيام الحزن.

أتشمم عبق الجنة.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص21-22.

في الكفين الذابلتين المشتعلتين بنار الحنة.

وأمضي...أحمل في كفي المثلومة بالنار أهوال الموت الآتي.

أبحث عن ضريح أخبئ فيه بعض جنوني

والأرض ضاقت من حولي.

أتعبني جسدي.

استعمل الشاعر هنا رموزا صوفية متنوعة (الوجد، العشق، الظمأ، القدر، الظلمة الحزن النار، أهوال الموت...) ليعبر عن آلامه وأوجاعه إثر هذا القدر الذي أدى إلى موت والدته فنجده في هذه الأبيات يصف مراحل صعبة مليئة بالحزن والقلق الناجم عن الموت إلى أن يصل إلى الرضا بقضاء الله وقدره حيث يقول: عفوا سأحمل قدري وأسير، كما يرمز إلى التسامي الروحي، وتجاوز هذه الفاجعة لأنه يسعى إلى الخلاص النفسي والروحي، وهذا ما فرض على الشاعر الصبر والرضا والتمسك بقدره واجتياز الأحزان، وهكذا يكون الموت هو القدر المر القاسي الحزين.

ويقول الشاعر في قصيدة "جنون الصمت":[(1)]

أهديتك الذي لا يهدى:

الروح وشمس حافية في أرض الله

لقبتك أميرة أحلامي

وانزويت أرتب أحزاني الآتية

أعدت زورق عمري المولع بالأسفار

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص27-28.

....

واشتعل جسدي الفاني بجنون فرحي

أهديتك أشرعتي وشطآني

ولم تعرفي بعد أني منك

توحد الشريان بالشريان..ونبض القلب وطري

فديتك عيني..روحي..ورضيت بشوق المسافات

تمددي نشوي

كلانا يعرف هسيس الوقت الراحل

كلانا يعرف همس الخاطر

لحظة البوح الفاضح.

هذا المقطع الشعري مثقل بالبؤر الدالة على القيم الروحية والرموز الصوفية(الروح، حافية في أرض الله، الأسفار الفاني، توحد، روحي، شوق المسافات، نشوي، لحظة البوح...) التي توحي بالتسامي، ونشدان عالم الروح المطلق، فالشاعر يحلق في عالم الروح حيث الصفاء والحب والطاهر، وحيث المرأة (الأم) تشكل رمزا من رموز المحبة الإلهية، إذ يستعين بها بوصفها ضرورة من ضرورات الانتقال من مقام إلى مقام أومن كشف إلى كشف آخر.

ويغوص الشاعر عبد القادر عميش في قصيدته"في انتظار الذي لا يأتي" في عمق الأزمنة ليتجاوز همه الصوفي مدمجا إياه مع ترقب وحيرة قائلا: (1)

بين أناملي تنام زهره

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 59.

قابعا فوق الرصيف

يتكاثف من حولي فرح الأرض

والنهار يمر بطيئا

يتمطى

كسحابة ظن مثقلة

قابعا أرافق ظلي المستكين

وأنتظر

ويقول أيضا: (1)

مازلت أنتظر بلاملل

شاخ الوقت من حولي.

فات الوقت ..مات الوقت..راح الوقت

شخت سهوا.

نمت الزهرة في الكف

صرت الجذع المنخور

وامتدت أغصاني وسط الغيم

كبر الحلم في الصدر.

في هذه المقاطع حاول الشاعر الصوفي عبد القادر عميش أن يتخلص من عذاباته ومن حزنه بحثا عن أمل ونور يضيء له جوانحه، وهو في حالة رجاء وتوق وترقب في انتظار الذي لا يأتي؛ هذا البحث عن عالم أكثر اطمئنانا وأمنا لم يجد له الشاعر وسيلة غير الانغماس في العالم الروحي بكل ما يملكه من طاقات.

يمكن القول: إن الرمز الصوفي احتل مجالا واسعا في هذا المنجز الشعري حيث تخللته شطحات النفس، ولحظات الانكسار، وآهات الوجع جراء وطأة الفاجعة المتمثلة في

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 60-61.

وفاة حبيبته الأم، فلم يجد غير هذه اللغة الشاعرة لكي ينفس عن نفسه ويبحر في ملكوت العشق الإلاهي وروحانياته.

ثالثا- الرمز الديني:

إن توظيف الرموز الدينية في الخطاب الشعري تعطي للنص دلالات خصبة، وتحيله على موروث حضاري زاخر، واستدعاؤها في اللحظة الراهنة يمثل التمسك بالماضي المليء بالصور المشرقة لأمتنا من أجل معالجة الحاضر وانكساراته.

ولقد وظف الشاعر"عبد القادر عميش" الرمز الديني والذي نعني به أولا القرآن الكريم مع توظيف مفرداته توظيفا وآياته اقتباسا لأنه يبقى دائما"معينا زاخرا غنيا بالدلالات الإنسانية والفنية".[1] يستقى منه الشعراء رموزهم للتعبير عن تجاربهم الإبداعية، دون أن نغفل الحديث النبوي الشريف وكذا بعض أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم- وسنحاول أن نطرق باب الرمز الديني بالوقوف على بعض النماذج من المنجز الشعري لعبد القادر عميش واستجلاء الدلالة فيه.

استعمل الشاعر بعض لمفردات والتراكيب والتي أخذها من القرآن الكريم مثل:(السماوات أرض الله، راكعة، ساجدة، الجنة، الصلاة، الدعاء، الله، القبر...)، من ذلك ما ورد في قوله:[2]

تنهض في القلب آذانا، فصلاة، فدعاء.

وفي قوله أيضا: [3]

وصلاة، نافلة في محراب الصمت.

1- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1984، ص585.
2- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص49.
3- المصدر نفسه ، ص 53.

وأيضا: (1)

أخرجني مخرج صدق

فالعالم من حولي مهجور.

ففي هذه الأسطر الشعرية نجد الدعاء رمزا للخشوع والانكسار والضعف، وهذا سبب المأساة كلها، لكن الدعاء رغم ذلك يبقى في كل حالات الضعف أو القوة سلاح المؤمن، وما بالنا بالرسول-صلى الله عليه وسلم- وهو في غار حراء لم ينجه إلا الدعاء، في قوله تعالى:(**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**). [سورة النمل الآية:62]

أما الصلاة فهي محل مناجاة العبد لربه بتلاوة القرآن والدعاء والثناء والأذكار ونحو ذلك وهي محل لقرب العبد من ربه، أما ما اقتبسه الشاعر من آيات القرآن الكريم، فيمكن أن نقدم نماذج من مقاطع التي أثرت معانيها من هذا الرمز الديني ومما جاء فيه: (2)

خد بناصيتي الناصية

واعبر بي نفق العمر

استعمل الشاعر هنا الرمز الديني في قوله (بناصيتي الناصية) المستوحاة من الآية الكريمة:(**كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ**). [سورة العلق الآية:15-16]، فالشاعر يأخذ بالنواصي، ناصية يوم القيامة، فهي عظة للناس، ولهذا فإن هذه اللفظة توحي وترمز إلى الرحيل والفراق ثم يواصل الشاعر استعمال الرموز الدينية في قوله:(3)

إذا ما عسعس من حولي ليلي

وامتد في الأمداء خطوي.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص65.
2- المصدر نفسه، ص50.
3- المصدر نفسه، ص56.

وفي قوله أيضا: (1)

الطالع من بين عسعسة الليل.

وظف الشاعر الرمز الديني في قوله(عسعس الليل) المأخودة من الآية الكريمة:**(وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)** [سورة التكوير الآية:17-18] فالرمز في هذه الآية الكريمة يكمن في الليل، الذي أقبل ظلامه، فالليل يرمز إلى العتمة، إذ ينشر أستاره ويحمل معه الحزن والمرارة، أما في قوله: (2)

ظللني بسماء عامرة بالسلوى

أو سحب طير أبابيل.. ترمي

الليل الرابض من حولي

بشهاب...من سجيل.

استعمل الشاعر هنا الرمز الديني في قوله(طير أبابيل) المستوحاة من الآية الكريمة: **(أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ*أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ*وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ*تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ*فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)**.[سورة الفيل الآية:01-05].

يشبه الشاعر حالته بأصحاب الفيل عندما أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الطير الأبابيل ولهذا فإن هذه اللفظة توحي وترمز إلى العقاب الشديد الذي سلطه الله عليهم، كما نجد حضور الرمز الديني أيضا في قصيدة "أفق القيامة" والتي يقول فيها: (3)

ممددا إلى جوار قبرها أو قبري

أقرأ سورتين لإبتداءات البكاء

1- عبد القادر عميش: عفوا...سأحمل قدري وأسير، ص67.
2- المصدر نفسه، ص 66.
3- المصدر نفسه، ص19.

يطلع شدى عطرها من ثغور الأرض

فيشتعل ا لدم في العروق، وأصيح

دمي يصيح..

والموت من حولي غراب النحس يحوم فوق أنقاضي الفانية.

سأقرأ سورتين.

....

سلاما أو وداعا

فينشق الصدر حزنا..

لأسقط مثخنا بالجراح

سأقرأ سورتين.. وأرتدي أفق القيامة.

وظف الشاعر في هذه القصيدة رموزا دينية، وذلك من خلال رجوعه إلى تعاليم الدين الإسلامي (سأقرأ سورتين) كما ترمز هذه الأبيات أيضا إلى شدة الإيمان بالقضاء والقدر وكذلك توظيف مفردات (القبر والبكاء، وأفق القيامة) كل ذلك يرمز إلى الموت والفناء.

إلى جانب القرآن الكريم استوحى الشاعر بعض الرموز من الحديث النبوي الشريف وهي قليلة جدا، إذا ما قيست باعتماده على القرآن الكريم، ويمكن أن نعطي مثالا عن ذلك في قوله:(1)

ناديت مثلي المتعال وجلا:

خذني، دثرني بغيم الطهر.

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص09.

وأيضا قوله: [1]

دثر بالعشب جسدي الخارج من جسدي

وطهر بالماء والبرد.

ف"دثرني" هو لفظ النبي-صلى الله عليه وسلم- حينما جاءه الوحي أول مرة، وهو في غار حراء دون أن يعلم أنه نبي يوحى إليه، فذهب إلى بيته وهو يرتعش رهبة مخاطبا خذيجة - رضي الله عنها- (زملوني، زملوني، دثروني) فأنزل الله عز وجل:(**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** (1) **قُمْ فَأَنذِرْ** (2) **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** (3) **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** (4) **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** (5)).[سورة المدثر الآيات: 1-5]، فهذا الرمز الديني (دثرني) وظفه الشاعر كمعادل موضوعي له، ليعبر به عن شدة تأثره من وطأة الفاجعة التي ألمت به حين وفاة والدته.

وختاما فقد كان للثقافة الإسلامية التي يتحلى بها الشاعر أثر بارز في اختياره للرموز الدينية، وقد جاءت في معظمها بشكل اقتباس أو تضمين للنص القرآني، حيث استفاد منها ليناقش من خلالها قضية القضاء والقدر.

رابعا- الرمز التراثي:

يؤخذ الرمز التراثي من التراث أو البيئة التي تمثل الماضي الذي تتوقف بسببه حركة الإبداع، ففي التراث لغة مشتركة وقيم متفق عليها، والشاعر يمثل التجربة الواقعية والحضارية التي يعيشها، ثم يقوم بنقلها إلى ذهن السامع أو القارئ بطريقة غير مباشرة باستعمال الرمز هذا الأخير الذي يقرب الصورة أكثر فيكشف القناع عن الظاهرة التي تبدو غامضة أو مبهمة.

ويعد الشاعر عبد القادر عميش واحدا من هؤلاء الشعراء الذين اتخذوا من الرمز التراثي سجل تاريخي دوّن فيه الشاعر سيرة حياته. فعندما أحس بالضياع عبر عن هذه

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص68.

الحالة بمحاولة استدعاء الرموز التراثية الدالة على العظمة والعزة، بغية إيجاد متنفس وسلوى يخرجه من دائرة الهزائم والانكسارات، إلى دلالة الرمز الممتلئة بالنصر والفخر.

وظف الشاعر جملة من الرموز التراثية بدت جلية في قصيدة" ضفائر الحنة" وكذا قصيدة " الزمن الكاكي" حيث استحضر الرمز التراثي الشعبي في قصيدة"ضفائر الحنة" والتي يقول فيها: (1)

غدًا إ ن عانقت الحنة أغصان الصنوبر

على أسوار المقبرة

غدا أماه: إن طل ظل وجهك المعلم بالوشم

....

مزدانة بالحنة وحلكة اللحد.

لكنها لا تجيب

نائمة في حلكة اللحد.

تحلم بوقع خطي حبيبها حول القبر تطوف.

وظف الشاعر جملة من الرموز التراثية المتمثلة في:(ضفائر الحنة، والوشم، والحنة) كل هذه الألفاظ رموز تراثية توحي بالثقافة الشعبية التراثية، كما تدل على البيئة الشعبية للشاعر ففي التراث الشعبي منابع كثيرة، والحنة والوشم رموز تراثية محضة.

وتعج قصيدة"الزمن الكاكي" بالرموز التراثية، أين يريد الشاعر العودة إلى الزمن الجميل زمن الرجال الصالحين وزمن الانتصارات والفتوحات والبطولات حيث أشار إلى ذلك في قوله:(2)

1- عبد القادر عميش: عفوا... سأحمل قدري وأسير، ص 25-26.
2- المصدر نفسه، ص 21 -22.

يا صوتي الراحل في الريح

يا ندائي الأول....الموغل في الربيع الخالي.

يا سيف الله المغمد

من سنين

أقبل.

خلصني من سقم يتعاظم في القلب.

أخرجني من تيه خطوي

وألحقني برجال لبسوا النور

ساروا صوب فجاج الأرض

اكتسحوا أرضا مظلمة

وقفارا لم تكن...

زرعوا في كفي جنات وغلالا.

استحضر الشاعر الرمز التراثي (خالد بن الوليد) ذلك البطل المنتصر الذي لم يهزم أبدًا كما استحضر أيضا الرجال الذين لبسوا النور وهم الرجال الذين ماتوا، السلف والأولياء الصالحين، فخالد بن الوليد الذي تحدث عنه هنا ليس"سيف الله المسلول" وإنما هو"سيف الله المغمد"، إنه ليس ذلك البطل الذي لم يهزم في حرب قط، وإنما هو خالد المعاصر، الذي بلغت الهزيمة نخاعه، فالشاعر يستغل شخصية القائم المسلم"خالد بن الوليد" لا براز روح المفارقة. بين روح الجهاد المتوقدة، التي كانت تضطرم بين أضلاع المجاهد القديم، وروح

الضعف والانكسار التي تسري في أوصال خَلَفِهِ الشاعر، وبالتالي فإن رمز سيف الله المغمد معادل موضوعي له لكي يعبر عن حالته التي نال منها الضعف والانكسار.

من هنا كان حنين"عبد القادر عميش" إلى الزمن الماضي الحافل الذي ينكشف من خلال الرموز التراثية التي أثبتت البطولة الحقة، فقصيدة "الزمن الكاكي" يتضح فيها حاضر الشاعر وتبرز ضبابية أحلامه، باصطدامها بسوداوية الواقع وانهزامية الأمة، ومن صوت الشكوى تتحوّل من خلالها رموز النصر البطولي(خالد بن الوليد) إلى بؤرة تجمع النقيضين تاريخ منتصر وواقع مهزوم؛ وبالتالي فإن الرمز التراثي كان بمثابة سجل تاريخي دون فيه الشاعر لحظات حياته فاعتمد على لغة تراثية توحي بالأصالة والهوية والبعد التاريخي والحضاري.

وختاما يمكن القول: إن أنواع الرموز (الطبيعي، الصوفي، الديني، التراثي) التي وظفها الشاعر في هذا المنجز الشعري قد سمحت بالتحليق في فضاءات بعيدة منحتها دلالات عميقة كما جسدت تلك الرموز مبدأ الابتكار الذي ابتدعه الشاعر.

في ختام هذا البحث نلخص أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ويمكن ترتيبها كالآتي:

1-يختلف مفهوم الرمز باختلاف الباحثين ومجالات اشتغالهم.

2-يعتبر الرمز أداة موحية ومعبرة بامتياز.

3-الرمز هو ذلك المعنى الخفي الذي لا يكون واضحا إلا من خلال التفسير والتأويل ويحتاج إلى ثقافة عالية.

4-اعتمد الشاعر عبد القادر عميش في المنجز الشعري "عفوا ... سأحمل قدري وأسير" على عدة أنواع من الرموز، تنوعت بين ما هو طبيعي ، صوفي، ديني، وتراثي.

5-كان الرمز الطبيعي فضاءا شعريا استوعب موضوع الشاعر واتسع لحمل تجربته فامتزج الشاعر بالطبيعة، وجعل من عناصرها مصدرا من مصادر إلهامه.

6-مما لوحظ أيضا في حضور الرمز الطبيعي –مع كثرته وتكراره– هو نبرة الألم والحزن التي تعتري شعر عبد القادر عميش، إلا أن هذه الرموز الطبيعية في بعض الأحيان كانت تحمل سمة التفاؤل والأمل وحب الحياة.

7-أخذ الرمز الصوفي نصيبا وافرا في شعر عبد القادر عميش، وربما يعود السبب في ذلك إلى توافق هذا النوع من الرموز مع تجربته الشعرية، ولكونه رمزا مرنا يحتمل التعبير عن قضية الشاعر الكبرى التي استغرقت فضاءه الشعري.

8-كان للثقافة الإسلامية أثر بارز في اختيار عبد القادر عميش للرموز الدينية، وقد جاءت معظمها في شكل اقتباس أو تضمين للنص القرآني.

9-للتراث نصيب في هذا المنجز الشعري إلا أنه قليل جدا بالمقارنة مع الرموز الأخرى.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد ألممت بعناصر هذا البحث المتواضع، وأتمنى أن يكون على بساطته قد أضاف شيئا جديدا للأدب الجزائري، وأن يفتح المجال لبداية عمل موسع آخر وبحث أدق وأشمل وأسأل الله التوفيق والسداد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

رواية ورش عن نافع، دار القيمة للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2011.

أولا- المصادر.

1)عبد القادر عميش: "عفوا... سأحمل قدري وأسير"، (د ط)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

ثانيا: المراجع.

أ- المراجع العربية:

2) إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي، (د.ط) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.

3) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين: تفسير القرآن العظيم (تح: سامي بن محمد السلامة)،دار طيبة، (د.ب)، 1999، مج1.

4) إمرئ القيس: الديوان، ط3، دار صادر، بيروت، 2007.

5) أدونيس: زمن اشعر، ط3، دار العودة، بيروت، 1982.

6) إيليا الحاوي: الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي، ط2، دار الثقافة، بيروت 1983.

7) إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب – دراسة أسلوبية لشعره – ،ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2008.

8) بدر شاكر السياب: الديوان، دار العودة، بيروت، 1971، ج1.

9)الجاحظ: البيان والتبيين، (تح: فوزي عطوي)، (د.ط)، دار صعب، بيروت، لبنان ،(د.ت) ج1.

10) حسن توفيق: بدر شاكر السياب . دراسة فنية وفكرية، ط2، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، عمان، 2009.

11) رابح بن خوية: جماليات القصيدة الإسلامية المعاصرة (الصورة – الرمز – التناص) ،ط1 عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، أربد، الأردن.
12) ابن رشيق: العمدة، ط1، دار الجيل، بيروت، 1981، ج1
13) سعود بن عبد العطوي: الرمز في الشعر السعودي، ط1، مكتبة التوبة، الرياض 1933.
14) السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ط2، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر 2008.
15) عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، ط2، دار الأندلس، بيروت،1983.
16) عبد العليم محمد إسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011 .
17) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، (د.ط) دار العودة ودار الثقافة، بيروت، 1981.
18) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي: القاموس المحيط، (تح: نعيم العرقسوسي)، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ج2.
19) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ج3.
20) محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ، 2003 .
21) محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1984.
22) محمود درويش: الأعمال الكاملة، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1973.
23) مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، (د.ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت) .
24) ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن 2011.

25) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، (د.ط)، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).
26) ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب . معالم وانعكاسات الرمزية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1982، ج2.

ب- المراجع المترجمة:

27) تزفيتان تودوروف: نظريات في الرمز، (تر: محمد الزكراوي)، ط1، المنطقة العربية للترجمة، بيروت، لبنان ، 2012.
28) رينيه ويلك وواستن وارين : نظرية الأدب، (تر: محي الدين صبحي)، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981.

ثالثا- المعاجم.

29) جمال مراد حلمي: المعجم الوسيط، (إش: شوقي ضيف)، ط4، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، مصر، 2004 .
30) الجواهري: الصحاح في اللغة والعلوم، (تق: عبد الله العلايلي)، ط1، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، 1974 ،مج1.
31) الزمخشري: أساس البلاغة، (تح: محمد باسل)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1998، ج1.
32) عبد الرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي: معجم العين، (تح: عبد الحميد هنداوي)، ط1 منشورات محمد علي بضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ج2.
33) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، (مر: مأمون الحموي وآخرون)، ط2، دار المشرق بيروت، لبنان، 2001.
34) ابن منظور: لسان العرب، ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح إديسوفت لبنان، 2006، ج5.

رابعا- الرسائل الجامعية.

35) فطيمة بوقاسة: جميلة بوحيرد الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (شعبة أدب الحركة الوطنية)، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007،(لم تنشر).

فهرس الموضوعات:

الرقم	العنوان	الصفحة
/	**مقدمة**	أ......... ج
	الفصل الأول: مفهوم الرمز وأنواعه وعلاقاته	
أولا	مفهوم الرمز	**7........15**
1	لغة	**7.........9**
2	اصطلاحا	**9.........15**
ثانيا	أنواع الرمز	**15........22**
1	الرمز الطبيعي	**15........17**
2	الرمز التراثي	**17........19**
3	الرمز ا لأسطوري	**19........20**
4	الرمز الديني	**21........22**
ثالثا	تقاطع الرمز مع فنون أخرى	**22........25**
1	علاقة الرمز بالأسطورة	**22.......23**
2	علاقة الرمز بالقناع	**23.......24**
3	علاقة الرمز بالإستعارة	**24.......25**
	الفصل الثاني : تجليات الرمز في المنجز الشعري "عفوا ... سأحمل قدري وأسير"	
أولا	الرمز الطبيعي	**28........37**
ثانيا	الرمز الصوفي	**37........47**
ثالثا	الرمز الديني	**47........51**
رابعا	الرمز التراثي	**51........54**
	خاتمة	**56**
	قائمة المصادر والمراجع	**58........60**
	فهرس الموضوعات	/
	ملخص البحث : عربي – فرنسي	/

ملخص:

عالجت في هذا البحث الرمز في ديوان :"عفوا...سأحمل قدري وأسير" لعبد القادر عميش، مركزة على تجليات الرمز في هذا المنجز الشعري، ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وفصلين:

فكانت المقدمة هي الباب الرئيس الذي ندخل به إلى صلب الموضوع، أما الفصل الأول فقد تتبعت فيه مفهوم الرمز لغة واصطلاحا، ثم ذكرت أنواعه المختلفة، كما تطرقت إلى العلاقة الموجودة بين الرمز والأسطورة، والرمز والقناع والرمز والاستعارة، أما الفصل الثاني فقد كان تطبيقيا، عالجت فيه تجليات الرمز في المنجز الشعري "عفوا ... سأحمل قدري وأسير" بالإضافة إلى دلالة هذه الرموز، وأخيرا أنهيت بحثي هذا بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية:

- الرمز، الديوان،"عفوا...سأحمل قدري وأسير"، عبد القادر عميش .

Résumé:

Cette recherche traite le divan intitulé **<<**Pardon! ...je porte mon destin et je pars**>>.** de « ABD ELKADDER Amiche » dans lequel j'ai centré mon travail sur le symbolisme dans cet écrit poétique.

Mon travail a été reparti en une introduction et deux chapitres:

Dans l'introduction, j'ai présenté le thème nodal de mon sujet. Dans le premier chapitre j'ai définit le symbole sur le plan général et linguistique. puis j'ai cité ses différents types, ensuite j'ai évoqué la relation qui existe entre le symbole et la légende ,entre le symbole et le masque ,et enfin le symbole et la métaphore.

Le deuxième chapitre était pratique , dans lequel j'ai traité les éclaircissements du symbole dans l'écrit poétique <<Pardon! ...je porte mon destin et je pars >>. ainsi que la signification de ces symboles.

Finalement, j'ai terminé ma recherche par une conclusion dans laquelle j'ai cité les résultats obtenus les plus importants.

Les mots clés:

-le symbole, le divan,<<Pardon!...je porte mon destin et pars>> ABD ELKADDER AMICHE.